البعد الإنساني في الثورة التحريرية 1954-1962:

أ/ عبد المجيد الفضه/ جامعة الجيلالي بونعامة/ خميس مليانة

Human Values in the Liberation Revolution 1954-1962

foddamajid84@gmail.com

الملخص:

يحظى تاريخ الثورة الجزائرية بمكانة محوريةعند الباحثين الجزائريين وغير الجزائريين باعتبارها ثورة من أعظم ثورات القرن العشرين،وكونها استطاعت أن تعيد للإنسان الجزائري إنسانيته، ولم تسمح لنفسها بهدر إنسانيةخصومها من المستوطنين واليهود وحتى الحركى..

فإذا كان مفهوم الثورة عبر التاريخ مرتبط بالعنف والعنف المضاد، فإن ما ميز الثورة الجزائرية هوإنسانيتهاوالتزامها بالأخلاقيات القتالية تجاه العدو المستمدة من تاريخ وأصالة الشعب الجزائريعكس الثورات العالمية الأخرى...

يناقش هذا البحث الجانب الإنساني في الثورة التحريرية ويحاول الوقوف على تعامل الثورة مع الثورة المستوطنين واليهود واحترامها للاتفاقيات والمعاهدات الدولية إضافةإلى تعاونها مع المنظمات الدولية للإغاثة، وهو ماانعكس إيجابا على الثورة على جميع المستويات...

الكلمات المفتاحية:

الثورة الجزائرية –الإنسانية –الأسرى – المعاهدات والمواثيق الدولية – الهلال الأحمر الجزائري – اللجنة الدولية للصليب الأحمر.

Abstract:

The history of the Algerian revolution is central to Algerian and non-Algerian researchers as one of the greatest revolutions of the twentieth century because it was able to restore the humanity of Algerian man and did not allow himself to lose the humanity of his opponents of the settlers and Jews and even the movement.

If the concept of the revolution throughout history is linked to violence and counter-violence, the Algerian revolution is characterized by its humanity and its commitment to the moral ethic towards the enemy against the enemy which was derived from the history and originality of the Algerian people in contrast to the other world revolutions ...

This research discusses the human aspect of the liberation revolution and tries to identify the treatment of the revolution with the revolution, the settlers and the Jews and its respect for international treaties and treaties in addition to its cooperation with international relief organizations, which reflected positively on the revolution at all levels...

Key words: Algerian Revolution - Humanity - Prisoners - Treaties and International Covenants - Algerian Red Crescent - International Committee of the Red

تعرف الثورة بأنها تعني الهيجان والغضب وتتسم بطابع الفجائية والعنف والثورة الجزائرية بدورها لم تخرج عن هذه القاعدة لكن ماميزها عن بقية الثورات العالمية المعروفة كالفرنسية والأمريكية والروسية هو أنه كانت لها ضوابط أخلاقية وإنسانية مستمدة من ديننا الحنيف ومن تاريخنا العريق، فبالرغم من بشاعة أساليب المستعمر الفرنسي تجاه الثورة الجزائرية فإن الطابع الأخلاقي والإنساني لهذه الأخيرة كان إحدى الخصوصيات التي اتسمت بها طيلة فترة الصراع وهي لا تخص بالدرجة الأولى إلحاق الهزيمة بجيش الاحتلال بقدر ما تخص كشف ممارساته القمعية اللانسانية تجاه الشعب الجزائري. ففيما تمثلت القيم الإنسانية للثورة التحريرية وهل احترمت المواثيق والمعاهدات الدولية الخاصة بالحروب؟. وهو ماسنعالجه في هذه الدراسة من خلال المحاور الآتية:

- موقف الثورة من المستوطنين واليهود
- التزام الثورة بالمعاهدات والمواثيق الدولية
- تعاون الثورة مع المنظمات الدولية للإغاثة.

I- موقف الثورة من المستوطنين واليهود :

للتعرف على موقف الثورة من المستوطنين واليهود وجب علينا أن نفرق بين المستوطنين واليهود، لأن المستوطنين قدموا مع الاحتلال الفرنسي للجزائر بداية من 1830، بينما اليهود يشكلون فئة من نسيج المجتمع الجزائري، قدموا مع الهجرات القديمة والحديثة، وتعايشوا مع بقية الفئات للاجتماعية في سلم ووئام، إلى غاية صدور مرسوم كريمو القاضي بمنح الجنسية الفرنسية ليهود الجزائر من أجل عزلهم عن بقية الشعب الجزائري وعن وطنهم الجزائر . فكيف كان موقف الثورة الجزائرية من المستوطنين واليهود؟

1 الثورة الجزائرية والمستوطنين:

للتعرف على موقف الثورة الجزائرية من المستوطنين يجب التعرف أولا عن موقفهم من اندلاع الثورة الجزائرية. فكيف كان موقفهم منها؟.

1-1 موقف المستوطنين من الثورة :

كان أول رد فعل حكومي آنذاك على انطلاق الثورة الجزائرية متطرف،فوزير الداخلية "فرانسوا ميتران" الذي أعلن "أن الجزائر هي فرنسا...هناك مجلس نيابي واحد وقانون واحد ولذلك فهي أمة واحدة،وهذا هو دستورنا وتلك هي إرادتنا". ثم أعقبه وبتصريح أشد عنفا حين قال: "إن المفاوضات الوحيدة هي الحرب"[1].

وقد كانت الثورة هي البديل الوحيد للقضاء على الاستغلال وهو ما أكده بيان نوفمبر – كما رأينا في الفصل السابق– أن الحرب ليست وسيلة ولكنها فرضت فرضا من أجل إسماع صوت الشعب الجزائري وقد تجسدت ارداتها السليمة في تعاملها الإنساني والحضاري مع المستوطنين[2]، كما جاء في بيان نوفمبر وذلك "باحترام الحريات الأساسية دون تميز عرقي أوديني...ويكون للفرنسيين الذين يرغبون في البقاء في الجزائر،الاختيار بين جنسياتهم الأصلية ويعتبرونبذلك كأجانب...أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كمواطنين جزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات".

إلا أن المستوطنين الأوروبيين ومعهم السلطات الفرنسية لم يكلفوا أنفسهم عناء معرفة ما جاءت به الثورة من خيارات واقتراحات بل رفضوا حتى الاعتراف أنها ثورة شعب بكامله أراد الاستقلال والحرية بل وتناسوا حتى أنهم المسؤول المباشر على قيام هذه الثورة بسبب الأساليب التي كانوا يمارسونها ضد الشعب الجزائري منذ 1830 والى غاية 1954[3]،

وانطلق غلاة المستعمرين يحشدون القوى ويستفزون الرأي العام الفرنسي ضد ثورة الجزائر وهذا ما يبرزه النداء الذي وجهه فريق ممن يحتلون الفكر الاستعماري الفرنسي إلى الشعب الجزائري جاء فيه:

"إن المصير يتقرر الآن في الجزائر وهو ليس فقط مصير إخواننا من المسلمين والأوروبيين ليس فقط مصير شمال أفريقيا والإتحاد الفرنسي، إنه مصير فرنسا كدولة عظمى ومصير دورها الاستراتيجي،وتوازنها الاقتصادي ومصير حرياتها الجمهورية وحدتها القومية،التي سيقضي عليها طردنا من إفريقيا في أمد قصير، إذا لم نستطيع أن نجد في كنوز ولائنا لفرنسا وثقتنا بالإنسان القوي الضروري لإعادتها إلى مركزها المرموق في الجمهورية الفرنسية،فإن أيامنا المقبلة ستكون أكثر شؤما علينا من حزيران "يونيو" 1940 ، وإننا في هذه المرة لم نحاول الدفاع عن سيادة العدالة وعندما نستسلم في قلوبنا سيلفنا حكم التاريخ دون رحمة"[4]. وعلى هذا الأساس فقد كان وقع اندلاع الثورة الجزائرية على المستوطنين كالصاعقة،لاسيما وأن الأحداث كانت مفاجأة تامة بالنسبة لهم ولغيرهم وهو ما عبرت عنه جرائدهم الصادرة بالجزائر وهي نوعان،يمنية ويسارية.

وتمثل اليمنية فئة اليمين المتطرف المدافع بشدة على الجزائر الفرنسية ويشكل قاعدة شعبية عريضة من المستوطنين،وهي الفئة المحركة في الجزائر والتي كانت تمثل معارضة شديدة لكل تغيير أو إصلاح فبالرغم من أن هذه الفئة قليلة جدا مقارنة مع الشعب الجزائري إلا إن أطروحاتها وفرضياتها تكون ملزمة على عاتق الحكومة الفرنسية في إطار برنامج "القمع أولا والإصلاحات تأتي بعد ذلك"[5].فمن خلال النداء الذي وجهوه إلى الشعب الفرنسي،نرى أنهم راحوا يتباكون على مصير إخوانهم المسلمين ومتناسين أن الجرائم التي ارتكبوها في

حقهم وفي أمتهم،هي السبب الحقيقي للثورة، كما تدل على أن من كتبوه لم يفهموا يوما حقيقة الشعب الجزائري.

فقد عمد هذا النداء إلى وصف مفجري ثورة نوفمبر بصفات وأوصاف لا تليق بهم: "...فإلى جانب رؤساء العصابات الدائمين والسفاكين القساة ونذر الإرهاب الشرير توجد بعض النفوس ...التي اعتمدتها الدعاية المضللة يدعون أنفسهم وطنيون ولكنهم يجعلونها الآن بيد الاستعمار البيروقراطي،والتعصب العنصري،استعمار العروبة الذي يهدد أخوننا الجزائريين الآن كما يهدد التونسيين والمراكشيين،فلنتحد جميعا لإنقاذ الجزائر وبإنقاذها سيكتب لفرنسا الخلود"[6].

وللتأثير أكثر على الرأي العام الفرنسي راحوا يفسرون إن الذين فجروا العمل المسلح في الجزائر كانوا قد استجابوا إلى نداء الجهاد وهذه الأعمال المسلحة تحمل طابع الحرب المقدسة، وتوجيه أصابع الاتهام نحو "الدولة المصرية" باتهام الأزهر الشريف،وأن اغلب قادة ذلك العمل ذو توجيهات إسلامية ولا أحد يشك في ذلك[7].

ولذلك راح ممثلو هذه الفئة المتطرفة من المستوطنين أمثال السيناتور "بورجو" (Bourgeaud) الذي صرح في مثال له نشر بجريدة "لأدبيش اليومية" بتاريخ 02 نوفمبر أنه "ينبغي دفن التمرد أين يولد، وينبغي البحث عن زعماء العصابات وإلحاق الهزيمة بهم، وان هؤلاء الزعماء معروفون ومنظمتهم ينبغي أن تمحى من الخريطة".

كماأصدرت اتحادية رؤساء البلديات في القطر الجزائري توصية وقدمت طلبا إلى الحاكم العام الفرنسي تطلب بالإجماع "بان يعاد النظام إلى نصابه،يجب أن يعاقب بشدة هؤلاء المجرمون بلا هوادة،وخنق التمرد قبل استفحاله فالخنق ثم الخنق...إننا لا نتجه إلى الولاية

العامة بل نستغيث بباريس لا اتخاذ الإجراءات الصارمة والتدابير الحازمة"[8]. إن هذه الفئة حاولت بهذا التحليل الدفاع عن السياسة الاستعمارية المطبقة في الجزائر، وتسعى جاهدة بكل الوسائل لتطبيق المشروع الكولونيالي كما نظر له الأولون[9].

أما فئة اليسار فيمثلها المستوطنون الدين ينددون بالاستغلال والاضطهاد كأعمال لا إنسانية،ولكنهم يعارضون كل ما من شأنه أن يؤدي إلى فصل الجزائر عن فرنسا،مستعملين تارة الأفكار الماركسية التي تدعو إلى محاربة النزعة الوطنية الإقليمية الضيقة،ومتذرعينتارة أخرى بضرورة صيانة الانجازات الحضارية التي حققتها فرنسا في الجزائر منذ احتلالها،وذلك لغير المستوطنين طبعا وبالنسبة لهم فإن الفاتح من نوفمبر،محاولة أخرى من عشرات المحاولات التي قام بها أبناء الشعب الجزائري في أزمات وجهات مختلفة قصد الخلاص من السيطرة الأجنبية بسب البطالة، والحالة المادية السيئة عموما في الجزائر،وصمم الإدارة أمام جميع الطلبات "حسب تعبير جديدة "الحرية (**libirté**) في عددها الرابع سنة 1954.

وهو ما أكدته قبلها جريدة العامل الجزائري لسان حال النقابة الشيوعية تحت عنوان "نريد العمل والخبز" بقولها: "إن الشعب الجزائري يريد العمل والخبز وليس القنابل والرشاشات"[10]

وكانت هذه الفئة ترى أن حل المشكلة الجزائرية لن تكون بالسلاح أو السياسة القمعية ولكن الديمقراطية هي الحل حسب ما جاء في جريدة "الجي ديبوبلكان" بقولها "ولئن كانت هناك اختلافات في الوضع لكل من الأقطار الثلاثة فالأسباب واحدة،والقمع لن

يحل المشاكل...فلا سياسة التهدئة ولا سياسة البندقية تفيدان،فالسياسة الوحيدة التي ستفيد هي الحل الديمقراطي"[11].

ومما سبق ذكره نستنتج أن موقف المستوطنين الاوروبين من الثورة على اختلاف مشاربهم وانتماءهم كانت سلبية فأصحاب اليمين دأبوا على وصف الثورة بالإرهاب والتمرد ووجوب قمعها، في حين أن أصحاب اليسار والذين يدعون الإنسانية ويطالبون بالتحرر قد اتفقوا على أن أحداث نوفمبر عبارة عن أعمال إجرامية ودعوا إلى ضرورة تلبية المطالب المشروعة للجزائريين والمتمثلة في الخبز فضلا عن نقد العمل الثوري فإذ كان هذا الموقف الذي وقفه المستوطنين من الثورة. فكيف كان موقف جبهة التحرير من المستوطنين؟

2-1 موقف جبهة التحرير من المستوطنين:

بالرغم من المواقف العدائية للمستوطنين وعنصريتهم وهمجيتهم إلا أن مفجري الثورة حرصوا منذ البداية بيان نوفمبر على توضيح موقفهم العادل وتمسكهم بقيم التسامح الإسلامي الذي يأمر باحترام الضمائر وكما يؤكد الحديث النبوي الشريف فان الناس سواسية فيما بينهم كأسنان المشط لا فرق بين ابيض واسود وبين عربي وأجنبي إلا بالتقوى[12].

فقد دعا بيان أول نوفمبر 1954 لحوار حضاري صادق وصريح وقدم تنازلات للمستوطنين وتعهدات لهم لضمان مصالحهم وحقوقهم المشروعة فقد ربط كما رأينا سابقا بين "المبادئ الإسلامية واحترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني"

كما أكدت وثيقة الصومام على أن الثورة ليست حربا دينية وليست مبينة على الحقد بل هي ثورة تحريرية ضد النظام التعسفي وتقبل في صفوفها تنوع الأديان والآراء والأجناس "الثورة الجزائرية ليست حربا أهلية كما أنها ليست حربا دينية فهي تريد استعادة الاستقلال لتنهض بجمهورية ديمقراطية واجتماعية تضمن مساواة حقيقية بين جميع المواطنين في وطن واحد دون تمييز"[13].وتساءلت هذه الوثيقة عمن يحاول مغالطة وتضليل الرأي العام الفرنسي بمحاولة إقناعه بان الثورة قائمة على التعصب الديني بقولها: "إن الثورة الجزائرية لا تميز نفسها على مختلف الطوائف الدينية التي تسكن البلاد الجزائرية....ولكنها تفرق فقط بين أنصار الحرية والعدل والكرامة الإنسانية ..."[14].

وفي رسالة وجهتها جبهة التحرير إلى الأمم المتحدة في 1957 أكدت على أن الجمهورية الجزائرية القادمة ستكون دولة عصرية مشتركة بجميع الجزائريين مع الاحترام المتبادل للأوضاع الشخصية واللغة والتقاليد وهذا مقتطف من تلك المذكرة :

"...وإذا ما اضطلعت الجزائر بسيادتها في إطار هذه المجموعة ورفضت أي هيمنة عنصرية فهي على العكس من ذلك ستدعو لمساهمة جميع أبناءها دون تمييز حيث لن يكون أي شخص مهدد في حرياته كما أن السكان من أصل أوروبي متخلصين من خرافة التفوق العنصري ومعافين من العقدة الاستعمارية هم مدعوون بدورهم اخويا وجنبا إلى جنب مع مواطنيهم المسلمين كي يقدموا ما بوسعهم من طاقة وذكاء"[15].

كما التزمت جبهة التحرير في بيانها المؤرخ في 1958/09/26 بتعهداتها في المساواة بين مختلف الأجناس والعقائد بقولها: "الجزائر بعد خروج الاستعماريين منها لن تعرف لا

مواطنين متفوقين ولا مواطنين ناقصين فالجمهورية الجزائرية لن تقوم بأي تفرقة،تعتمد على الجنس أو العقيدة ..."[16].

كما وجه رئيس الحكومة المؤقتة الجزائرية السيد فرحات عباس نداءإلى أوروبي الجزائري ومما جاء فيه: " أيها الأوروبيون في الجزائر...أنظروا حولكم: إن عالم اليوم لم يعد فيه مكان للمفاهيم الاستعمارية ولم يعد فيه مكان للتميز العنصري، فلا تحاولوا إذن أن تتشبثوا بالمتناقضات وبقايا الماضي المتعفنة، ولا تحاولوا أن ترهقوا أنفسكم بالاختيار بين إبادة الشعب الجزائري أو رحيلكم عن الجزائر، إن هذه الاختيارات خديعة ماكرة من المتطرفين الاستعماريين الذين بفضل ثروتهم أصبحوا يتحكمون فيكم دون رحمة"[17].

كما أكد رئيس الحكومة المؤقتة في ندائه أيضا أن الثورة لا تدافع عن جنس معين ولا عن طائفة معينة وإنما هي تدافع عن كرامة كل الجزائريين بغض النظر عن ديانتهم أو الطائفة التي ينتمون إليها فيقول:"إن الوطنيين الجزائريين الذين أقدموا على الموت ليعيشوا أحرارا لن يبخلوا عليكم بأن تتمتعوا أنتم أيضا بهذه الحرية نفسها وإذا كانوا لا يرضون أن يكونوا بشرا من الدرجة الثانية ولا يرضون أن تكونوا أنتم متفوقين عليهم فإنهم مستعدون أن يعتبروكم مواطنين جزائريين حقيقيين...إن الجزائر لجميع الجزائريين مهما كان أصلهم، إن هذه الكلمة ليست خيالا وليست دعاية، وإنما هي تعبير عن حقيقة حية قائمة على الحياة المشتركة والجزائر قد طبعتها بكيفية تستطيع بها أن تعيش تحت سماء واحدة"[18]. وليدعوهم في نهاية هذا النداء إلى المشاركة في صنع تقرير المصير لأنه أفضل وسيلة لبناء جزائر الوحدة الغنية بالآمال العظيمة " إن الجزائرية التي سنبنيها معا سيكون فيها مكان

للجميع والعمل للجميع...إن الجزائر الجديدة لن تكون فيها حواجز عنصرية ولا أحقاد دينية، إنها ستحترم كل القيم وكل المصالح المشروعة"[19].

وعليه فالثورة الجزائرية ظلت تتعامل بروح إنسانية مع طائفة المستوطنين من 1954-1962 وقد تجلى ذلك من خلال النداءات التي كانت توجهها لهم من أجل بناء جزائر أخوية بعيدة عن التطرف والعنصرية، مؤكدة لهم في كل مرة أنها تسعى لتحقيق السلم والوئام لكافة أبناء الشعب بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية. لكن هذه الفئة ظلت معادية للثورة إلى غاية الاستقلال فكان مصيرها الطرد نهائيا من الجزائر.

2- الثورة الجزائرية واليهود:

تتجلى إنسانية الثورة الجزائرية من خلال تعاملها مع اليهود. فكيف كان موقف الثورة من اليهود الجزائريين ؟. وما موقفهم منها؟

2-1 موقف الثورة من اليهود الجزائريين :

رغم كل المواقف السلبية لليهود ونظرتهم المعادية للإسلام والمسلمين ورغم دورهم التاريخي السلبي لاحتلال الجزائر ورغم مواقفهم المؤيدة لهذا الاحتلال وارتباط مصالحهم مع الاستعمار،إلا أن الثورة الجزائرية حافظت على مبادئها الإنسانية وهو ما أكده بيان أول نوفمبر 1954 والذي جاء فيه:"احترم الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني،وضمان المساواة الحقوق بين جميع سكان الوطن بدون تفريق أو تمييز[20]، وهو ما يؤكد أن الثورة ظلت تعتبرهم غير فرنسيين بل اعتبرتهم جزء من المجتمع الجزائري يمثلون طائفة دينية داخل المجتمع الجزائري،ويتمتعون بكامل الحريات التي تفرضها مبادئ التسامح

الديني في الإسلام[21]،فالشعب الجزائري عرف دوما كيف يتجاوز بسماحته وإنسانيته كل تلك المواقف السابقة ليحتفظ في النهاية بالمكانة نفسها التي ظلت دوما لهم وسطه[22].

ويؤكد الباحث فوزي سعد الله بأن جبهة التحرير طمأنت اليهود وترجتهم بالبقاء ضمن نسيج الشعب الجزائري المسلم[23]،والى الإسهام إلى جانبه في بناء جزائر متسامحة وأخوية ينعمون فيها بالحرية كما كان الأمر في الماضي.

ومن هنا عادت الثورة مرة أخرى في ميثاق الصومام 1956/08/20 لتولي أهمية اكبر للجالية اليهودية وحاولت التأثير أكثر في نفسية يهود الجزائر وذلك في قولها:"ان بعض اليهود تأثروا بالقمع الاستعماري وعنصرية المعمرين والتحقوا بالثورة وتحملوا عذاب السجون والمحتشدات وتعلقوا بوطنهم الجزائر"[24].كما ذكرتهم بالمعاملات العنصرية التي تعرضوا لها في أوروبا وفي فرنسا على وجه الخصوص[25] مثل معاملة كل من "بوجاد" و"بيثان فيشي" ودعتهم بالمقابل إلى الثقة في الثورة الجزائرية التي لم توجه لهم وذكرتهم بما عاشته اليهود من مظاهر التسامح الديني والتعاون في أرقى وظائف الدولة والتعايش الصادق والنزيه،وأكدت لهم ضمان حظهم من السعادة في الجزائر المستقلة[26]،وكان هدف جبهة التحرير من ذلك عزل وفصل اليهود عن الاستعمار واستمالتهم[27].

كما توجهت جبهة التحرير برسالة إلى يهود الجزائر[28] في أكتوبر 1956 باسم الحاخام الأكبر وأعضاء المجتمع الإسرائيلي والى المنتخبين والى جميع مسؤولي الجماعة اليهودية في الجزائر مؤكدة لهم فيها غلى انتصار الثورة واستحالة القضاء عليها،وأنها تأمل في أن يتحلى قادة الجماعة اليهودية بالحكمة للمشاركة في بناء جزائر حرة و متآخية وان ينددوا دون تردد بالنظام الاستعماري وأن يعلنوا صراحة عن خيارهم للجنسية الجزائرية[29].بقولها:"...إن جبهة التحرير الوطني بوصفها الممثل الأصيل والوحيد للشعب الجزائري تعتبر انه اليوم من واجبنا أن نتوجه مباشرة إلى الجماعة الإسرائيلية لتطلب منها تأكيد انتماءها بصفة رسمية إلى الأمة الجزائرية ...هذه الخيارات عندما تؤكد بوضوح تزيل كل سوء فهم وتستأصل جذور الحقد التي رعاها الاستعمار الفرنسي،كما ستساهم بالإضافة إلى ذلك في إعادة خلق الإخوة الجزائرية التي تكسرت مع مجيء الاستعمار ..."[30].

كما أن جبهة التحرير في رسائلها خيرت اليهود بين جنسيتهم الأصلية ووطنهم الأصلي أو بين العيش تحت سلطة ازدراء تكون فيها ابسط حقوقهم موضع تفاوض وذلك بقولها: "إنكم جزء لا يتجزأ من الشعب الجزائري وليس لكم أن تختاروا بين فرنسا وبين الجزائر بل أن تصبحوا مواطنين فعليين في بلدكم الحقيقي فإما أن تريدوا ممارسة كامل حقوقكم في بلدكم التي لن يضعها أحد موضع سؤال في بلد يصنع جميع أبنائه مستقبله بكل حرية وديمقراطية، أو أن تقبلوا العيش تحت سلطة الازدراء ترضوا بالمواطنة،التي يمنحنكم إياها مضطهدوكم ضمن شروط تكون فيه أبسط حقوق الإنسان موضع تفاوض[31]. ولم يعرف

عن الثورة أو جبهة التحرير أنها خاطبتهم بأي عبارة من عبارات الترهيب أو توعدتهم بالانتقام والتهديد،ويظهر ذلك على سبيل المثال لا الحصر في قولها: "...كل الجزائريين يتمنون أن يلتحق اليهود الجزائريين بوطنهم الجزائر وشعبهم الجزائري الذي حاول الاستعمار تفتيته...التاريخ علمنا أصلا أنكم أبناء الجزائر...والمسلمون الجزائريون عانوا كثيرا من العنصرية ولا يقبلونها غدا ضد اليهود الجزائريين"[32].

فكيف كان رد فعل اليهود تجاه الثورة وهل نجحت جبهة التحرير في احتواء الطائفة ؟

2-2 موقف اليهود من الثورة الجزائرية :

بالرغم من دعوة بيان نوفمبر الصريحة وبالرغم من الجهود التي بذلتها الثورة من أجل يهود الجزائر لإفتكاكهم من فرنسا وربطهم بوطنهم الأم الجزائر إلا أن اليهود لم يستجيبوا لذلك فلما سئل الطلبة اليهود عن مستقبل الجزائر في بداية 1954،أجابوا "نحن فرنسيين،فرنسيين، فرنسيين، فهل فهمتم؟ بالنسبة لنا ليس هناك مشكل، إذا ذهبت فرنسا فسنذهب معها"[33].

وقد ظل موقف اليهود بصفة عامة من الثورة موقفا غامضا، وهو ما عبر عنه بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة بقوله " ماكانش موقف رسمي...بقوا منتظرين ولم نعرف لهم موقفا واضحا وحاسما تجاه الثورة". وتؤكد أغلب الكتابات اليهودية على الموقف المحرج الذي وقع فيه اليهود وعجزهم عن اتخاذ موقف واضحا من الثورة، وفسر البعض سكوتهم التام باتخاذهم لموقف محايد يضمن لهم عدم الوقوف مع الثورة ضد فرنسا، كما يضمن لهم عدم الوقوف ضد الثورة لصالح فرنسا، وقد عبر عن ذلك أحد

الكتاب اليهود بقوله: "الحياد مبدأ سياسة الجالية اليهودية في الجزائر"[34]. وهو الموقف الذي وجدت بعض الكتابات اليهودية صعوبة في تبريره لعدم وجود مجموعة قادرة على إعلان موقف رسمي باسم جميع اليهود وبين الهاجس الأمني والمصلحي لليهود ممن سيضمن حمايتهم[35]. بينما جاء رد "لجنة اليهودي الجزائرية للدراسات الاجتماعية في شهر نوفمبر 1956 أن المجموعة الاسرائلية لا تكون مجموعة سياسية، يمكن أن تعلن موقفا باسم جميع اليهود، وتنادي بإيجاد حل سلمي بين فرنسا والجزائر.

فقد أختار أغلب اليهود الجزائريين الوقوف إلى جانب فرنسا وسياستها الاستعمارية معللين ذلك بأن نهاية النظام الاستعماري يعني نهاية الزمن السعيد[36]،وهو ما أعلنه "أندري ناربوني" "André Narboni" بقوله: "...نحن فرنسيون ونريد أن نبقى فرنسيين ....تريدون منا خيانة وطن نحن مواطنون فيه، -أي فرنسا- من أجل وطن غير موجود الآن،سنبقى أوفياء لفرنسا أوفياء لكل قيم العدالة والديمقراطية "، وقد بقوا فعلا على هذا الموقف حتى نهاية الصراع[37].

ولم يكن هذا الموقف المعادي للثورة للجالية اليهودية ينطلق من مبدأ واضح وصارم بل كان الهدف منه خدمة مصلحة اليهود وتحديد من سيضمن حمايتها هل هي الثورة أم الوجود الاستعماري؟[38].

وقد تأكدت هذه المعلومات على لسان قائد المكتبالثاني في الاستخبارات اللبنانية،الواردة في برقية الملف العسكري الفرنسي في بيروت،المؤرخة في 8 أفريل 1961 عندما قال:

"إن الاسرائيلين الذين يعتقدون أن السلام في الجزائر سيضرهم ويؤدي إلى خسارتهم،قد أرسلوا إلى الجزائر منذ عدة أسابيع رجالا منهم بهدف تدعيم العمليات الإرهابية ضد الجزائريين".وذكر التقرير اسم احد كبار المختصين اليهود في العمل الإرهابي وهو المسمى غناسية (Genassie) المعروف بانتمائه إلى منظمة ارغون (Argon) الصهيونية الإرهابية[39].

ولذلك يفسر بعض المؤرخين الهجرة الجماعية لليهود بعد الاستقلال بأنها طبيعة لارتباط اليهود بالمصالح الاستعمارية الفرنسية وهو ما فسره "أندري شوراكي" بقوله:"إن اليهود اختاروا الأسوأ بانضمامهم إلى فرنسا ضد الشعب الجزائري"[40].

وحتى لا نكون من المجحفين في حق اليهود فانه ينبغي أن نشير أن هناك بعض المواقف المؤدية للثورة الجزائرية ومنها ما كتبة أحد اتحادات اليهود في الجزائر أواخر جانفي 1957 استجابة لنداء جهة التحرير (F.L.N) ما نصه:

"ما يزال الوقت أمامنا اليوم لنعود إلى المجموعة الجزائرية فان التعلق بصفة المواطن الفرنسي هو خديعة في وقت تتكون فيه بخطوات ثابتة الأمة الجزائرية الفتية والقوية ...ونعلم أيضا أن المسلمين واليهود قد كشفوا في الكفاح المشترك عن أخوة في العرق،وأنهم يحسون بتعلق عميق بالوطن الجزائري...وأننا إذا نصرح بتعلقنا بالأمة الجزائرية نعمل على إبطال الحجة التي يستخدمها المستعمرون..."[41].

وإذا كان البعض من اليهود الجزائريين بخاصة اليساريين منهم أمثال "هنري علاق" و"هنري كوربال" و"ميمي" و"قروج" و "بيير فيدال ناكيت" وغيرهم من المثقفين اليهود

قد ناضلوا من أجل القضية الجزائرية وتدوليها وتأكيد إنسانيتها من خلال التشهير بالتعذيب الفرنسي ووقفوا قولا وعملا إلى جانب الثورة فان ذلك لم يؤثر كثيرا في موقف الجالية اليهودية الجزائرية التي ظلت في النهاية إلى جانب الاستعمار والمعمرين، وتعرضت للمصير نفسه على يد الثورة وهو الطرد بعد الاستقلال لكل يهودي وقف ضد الثورة[42].دون أن ننسى إنسانية الثورة الجزائرية تجاه اليهود الجزائريين رغم موقفهم السلبي منها،فجبهة التحرير عملت كل ما في وسعها لكسب اليهود الجزائريين وبقاءهم في وطنهم حيث طمأنتهم ووعدتهم وضمنتهم وترجتهم بالبقاء إلى جانب شعبهم، والشعب الجزائري المسلم بدوره سامح وتسامح معهم، فلم يحدث أن أشتكى أي يهودي ممن بقوا في الجزائر بعد 05جويلية 1962 من أي اعتداء أو اهانة أو انتقام أو تجاوز أو معاملة عنصرية لغاية اليوم رغم بقاء عدد كبير منهم بالجزائر[43].

II- احترام القوانين والمواثيق الدولية :

يقول فرانز فانون الذي انضم إلى جبهة التحرير "لابد أن ينجح الشعب المستعمر،غير أنه يقوم بذلك دون همجية،إن الشعب المتخلق تستوجب عليه ممارسة السلوك الطيب إذا أراد ألا يتعرض لعقاب معنوي من طرف الأمم الغربية[44] "، فهل نجحت الثورة في تطبيق هذه القاعدة؟

1- تطبيق اتفاقية جنيف المتعلقة بالحرب والأسرى:

بذلت الثورة الجزائرية قصار جهدها لكسب التحرير دون إضاعة مثلها العليا المتمثلة في احترام الإنسان في شخصيته وينبغي ألا يخفي المرء على نفسه أن الأمر لم يكن ميسورا

لان الثورة كانت تكافح بأسلحة غير متكافئة ضد الإدارة الاستعمارية ومع ذلك حرصت الجبهة ضمان حياة كريمة للأسرى ولعل القارئ الكريم يتشوق لبعض النماذج في التعامل مع الأسرى[45].

1-1 معاملة الأسرى:

فمن الأحاديث التي كان ينشرها الأسرى الفرنسيين بعد إطلاق سراحهم ما شهد به الأسرى الستة بعد إطلاق سراحهم بقولهم: " كان جنود جيش التحرير يقدمون إلينا الأكل قبلهم،وكان أكلنا جيدا رغم نقصان اللحم، وحينما نطلب الزيادة كنا نحصل عليها...كانا يحترموننا حقا وكانوا يحدثوننا عن استقلال الجزائر ولكنهم لا يتلفظون أبدا بكلمة ضد فرنسا، ولكنهم يبغضون فرنسيي الجزائر وجنود المظلات واللفيف الأجنبي"[46].

وقد أبدى الأسير "جاكوب جان" دهشته الشديدة من حسن المعاملة التي لقوها من جند جيش التحرير وقال: "وقد خجلنا ونحن الذين نسمي أنفسنا جيشا نظاميا،ومع هذا فلا نتورع عن تعذيب الأهالي والتنكيل بهم. لقد علمنا الجزائريين بطريقة معاملتهم هذه درسا كبيرا في الأخلاق"[47].

وهذا دليل على أن جيش التحرير كان يطبق أوامر القيادة العليا المستنبطة من تعاليم الدين الإسلامي ومن اتفاقيات جنيف، كما كان يدرك جيد معنى الكرامة الإنسانية ولذلك لم يعرف عنه أنه تعصب ضد أسراه الفرنسيين، بل عاملهم معاملة حسنة وهذا بشهادة بعض الأسرى الفرنسيين أنفسهم.

2-1 الحفاظ على حياة الأسرى :

بالرغم من الظروف الاستثنائية والصعبة التي كان يعيشها مجاهدي جيش التحرير وما لاقوه من ضغوطات كبيرة من الجيش الفرنسي.فقد كان أثقال كاهلهم بالأسرى يعرضهم إلى مخاطر إضافية،ورغم ذلك فقد كان القانون يحث على احترام حياة العسكر بين الفرنسيين المأسورين وتوفير العلاج والطعام،ثم تحريرهم من جهة واحدة ليثبتوا للرأي العام الدولي احترام الثورة الجزائرية للحقوق الإنسان وتوجد العديد من الشهادات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قصة الطالبة الأسيرة " الآنسة "ميشلين كوميس" والتي وقعت في الأسر في جويلية 1957 بين مديني تلمسان والغزوات أثناء هجوم المجاهدين على حافلة كان فيها بعض الخونة وبعد قتلهم تم اسر هذه الآنسة،وعلى اثر ذلك جندت السلطات الفرنسية كل إمكانيتها المادية والبشرية وعابت في الأرض فسادا بحثا عنها، وادعت أنها وجدت معذبة ومذبوحة وتناولت هذا الخبر معظم الصحافة الاستعمارية.

بينما كانت الطالبة الأسيرة تتنقل برفقة ممرضة مع وحدات جيش التحرير الوطني عبر القرى والمداشر مع المجاهدين[48].وتقول إنها أثناء إقامتها مع وحدات جيش التحرير،تركت لها كامل الحرية في الكتابة كما تشاء وفعلت ذلك وهي راضية ونقلت في إحدى رسائلها أنها حظيت بمعاملة لم تكن تتوقعها من الفلاقة:"..قبل النوم قدمت لي القهوة وسمعت شيئا من الموسيقى الجيدة،ثم قضيت ليلة هادئة.." وتقول في موضعا آخر من الرسالة:" كنت محاطة برعاية لا يمكن أن أتصور أحسن منها ولاحظت أنهم لا يبغضون فرنسا ولا الفرنسيين ولكنهم يريدون استقلالهم ليتمكنوا من إصلاح شؤونهم الاجتماعية السيئة"[49]،وبعد شهر تم الإفراج عنها،ولم تصب بأذى وحكت ما لاقته من حسن المعاملة وما رأته وعاشته من جرائم القتل والتعذيب والاغتصاب الذي تعرض له الجزائريون على

يد القوات الفرنسية مفندة كل الادعاءات الفرنسية على أنها لم تتعرض لا للإهانة ولا للتعذيب ولا للاغتصاب عكس ما نشرته الصحف الفرنسية.

كما أن جيش التحرير قام بنقل بعض الجنود الأسرى إلى تونس والمغرب حفاظا على حياتهم ورغم خطر العبور على الأسلاك الشائكة إلى قواعد جيش التحرير في هذين البلدين،أين تحسنت الظروف أسرهم إلى غاية تحريرهم والشهادات المختلفة لهؤلاء الجنود تبين أنهم لم يتعرضوا يوما لسوء المعاملة أو التعذيب لقد تقاسموا الحياة مع المجاهدين،كانوا يلبسون مثلهم وينامون مثلهم ويحضون بنفس شروط النظافة...في كل الأحوال كانت الأوامر واضحة،احترام معاهدات جنيف خاصة المادة الثالثة المتعلقة بالأسرى أنفسهم حتى وان كانت السلطات الاستعمارية ترفض بشكل قاطع التعامل بالمثل أي منح الجنود المعتقلين عندها بصفة سجين الحرب[50].

1-3 توفير العلاج للسجناء:

عملت جبهة التحرير على توفير العلاج اللازم لكل الأسرى فقد تحصل الأسير "بيركيت" على العلاج بالنيبفاكين (nivaquine) بعد إصابته بنوبة حمى المستنقعات،وكان البعض منهم يتلقى العلاج والبعض يأتي لتغيير الضمادات وتنظيف الجروح،مثل ماحدث مع الأسير "جان جيريبك" الذي أسر في فيفري 1958 وجرحت إحدى أصابعه بالرصاص العلاج ليلا وعقم جرحه بالكحول ووضعت له ضمادات.

وفي 11جانفي 1958 أسر" فانسونموزل" مع ثلاث جنود آخرين وكان مصابا في قدمه، فتم نقله إلى الحدود التونسية أين عولج في سارية استشفائية لجيش التحرير كما أحديث

عملية جراحية للأسير أوجين فيالارون على الزائدة الدودية في مستشفى لجيش التحرير ليعود بعد خمسة عشر يوما إلى الأسر[51]،وغيرها من الأمثلة.

4-1 الإفراج على السجناء دون مقابل:

تم الإفراج عن فرقة أولى من ثمانية مساجين في أوائل ديسمبر وآخرين في بداية جانفي، وسيتم اختبار عناصرهما عبر القرعة في 03 ديسمبر 1958 أخذوا إلى الرباط وقد حدثت مراسيم التسليم في مقر المفوضية الدائمة لجبهة التحرير بحضور الأميرة لآلة عائشة،البنت البكر للملك "محمد الخامس"،والرئيسة الشرفية للهلال الأحمر والسيدة ستي رئيسة الهلال الأحمر الجزائري والمدير العام للأمن الوطني،ووزير القضايا الشمال افريقية للحكومة الجزائرية المؤقتة والدكتور بن ثامي،مفوض الهلال الأحمر الجزائري في جنيف وسفراء كل الدول العربية الممثلة في الرباط،ومفوض الصليب الأحمر الدولي السيد " بييرجاييير".

وفي كلمة للمثل جبهة التحرير الذي أخذ الكلمة بعد الدكتور " بن ثامي " قال " أن هذا التحرير غير مشروط، ولا ينتظر أي رد ولم يتم استباقه بأي اتصال مباشر ولا عبر وساطة مع السلطات الفرنسية "[52]،كان هذا التحرير اللامشروط صفعة مدوية لفرنسا.

2-حماية المدنين أثناء الاشتباكات :

"إن المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه قوانين الحرب بما تشتمل عليه من قوانين التصرف والسلوك أثناء القتال وقواعد الإنسانية هو التمييز بين المقاتلين والمدنيين وتوجيه أعمال

العنف ضد المقاتلين والأهداف العسكرية"[53].وأن هذا المبدأ يعد واحدا من أعظم الانجازات التي أحرزت عليها مدنية الإنسان[54].

وينبغي أن نشير إلى أن ثورة التحرير كانت لها مرجعيات تضبط سلوك وحداتها القتالية والتي تعود أساسا إلى الإسلام الذي يصون النفس البشرية وهو تشريع رباني، لا يتعاوض مع القانوني الدولي بشكل عام لكن قد يقول البعض أن كلاهما نظري ولا علاقة له بما كان يجري في الميدان ولكي نثبت ذلك ينبغي أن نستعرض بعض مواقف الثورة وتصرفاتها التي تؤكد لنا التزام الثورة بالقانون الدولي .

فقد التزمت الثورة بالقاعدة التي تقول بأن من حق أطراف القوات المسلحة اختيار أساليب ووسائل القتال والذي له قيود ويجب التقيد بها في كل الظروف منها التفريق بين الأشخاص المدنيين من جهة والمتقاتلين والأهداف العسكرية من جهة أجرى إضافة إلى حماية الأشخاص الذين لا يشاركون في الأعمال العدائية أو الذين توفقوا عن المشاركة فيها كالجرحى والمرضى، ولعل ابرز مثال على ذلك هو سماح الثورة بزيارة الصليب الأحمر الفرنسي لديها، وتوفير الإيواء لجميع الجرحى والمرضى المدنين والعسكريين وتوفيرها العناية الضرورية للحفاظ على حياتيهم .

ولعل أحسن مثال يمكن أن نستدل به في هذا الشأن هو حادثة اغتيال الخائن "علي شكال" والذي صدر في حقه حكم الإعدام من طرف جبهة التحرير الوطني،هذا الخائن الذي ربط مصيره بمصير المستعمر الذي عينه نائبا في المجلس الجزائري ثم عين ضمن الوفد الفرنسي في الأمم المتحدة والذي اتخذته السلطة الاستعمارية كدليل أخذت تبجج به أمام العالم أن الجزائريين هم رعايا فرنسيون، يتمتعون بكامل الحقوق والواجبات وهاهو

واحد منهم يمثل فرنسا في أعلى منبر دولي الأمم المتحدة.ومما زاد في استفزاز مشاعر الجزائريين الوطنية هو أن السلطات الاستعمارية أصرت على أن يرتدي شكال اللباس التقليدي الجزائري "الطربوش" أثناء وجوده في الأمم المتحدة وهو ما اعتبرته الجبهة اهانة للشعب الجزائري لا يمكن السكوت عنها.

لهذا اصدر صوت الجزائر الحرة الناطق باسم جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني حكما بالإعدام على هذا الخائن الذي تحدى مشاعر شعب بأسره. وكلف بعملية الإعدام كل من عيساوي وابن صدوق وابن موهوب، وتم تنفيذها بكل دقة وبطولة في زمن ومكان لم يكن يتوقعه أحد وذلك في نهائي كأس فرنسا لكرة القدم يوم 29ماي 1957[55]، وكان هذا الخائن بجانب رئيس الجمهورية الفرنسية "روني كوتي" لحظة إطلاق النار عليه، وكان بمقدورهم إصابة الرئيس الفرنسي هو أيضا ولكنهم لم يفعلوا ذلك احتراما لتعليمات قيادة جبهة التحرير.

وعندما سئل صدوق بعد إلقاء القبض عليه لماذا لم تحاول اغتيال الرئيس الفرنسي ؟. أجاب صدوق بقوله:" الرئيس الفرنسي يمثل بلاده وشعبه وله الحرية أن يتصرف حسب ما تمليه عليه مصلحة شعبه، أما هذا الخائن "علي شكال" فهو يدعي تمثيله للجزائريين دون رضاهم وهذا ليس من حقه"[56]

وقد أثبتت هذه الحادثة مدى القدرة الفائقة على القيام بالمهام الصعبة والتحضير الجيد لها،وأثارت هذه العملية ردود فعل عالمية ولفتت الأنظار إلى مدى إخلاص الجزائريين لقضيتهم الوطنية وقيمهم الإنسانية في خدمة الثورة والقضية أسوة بباقي شرائح المجتمع التي كانت تقف صفا واحدا وراء جيش وجبهة التحرير من اجل تحقيق الحرية

والاستقلال[57]. كما أثبتت هذه العملية حسب شهادة منفذها ساهمت بشكل كبير في إقناع الرأي العام الدولي بالقضية الجزائرية وبعزم الشعب الجزائر على التحرر والاستقلال وأن الثورة هي ثورة شعب وليست ثورة "قطاع طرق"كما كان يدعي العدو كما برهنت أن الجبهة قادرة على نقل الثورة المسلحة إلى قلب التراب الفرنسي[58].

III- التعاون مع المنظمات الدولية للإغاثة :

نظرا لاستمرار السلطات الاستعمارية في ممارساتها القمعية تجاه الشعب الجزائري كان لزاما على الثورة الجزائرية أن تجند كافة الوسائل وعلى جميع الأصعدة للتخفيف من معاناته، لذلك أبدت استعدادها في التعامل مع كافة المنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية وعلى رأسها اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وإنشاء الهلال الأحمر الجزائري.

1. التعاون مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر :

تعود الاتصالات الأولى بين اللجنة الدولية للصليب والجزائريين إلى 1955 إي قبل تشكيل الهلال الأحمر الجزائري،ففي 1955 قدم السيد فرحات عباس طبيبا من وهران وهو الدكتور " بن ثامي " كممثل مستقبلي للهلال الأحمر الجزائري في جنيف.وبما أن مؤتمر الصومام يعتبر عقد ميلاد حقيقي للجزائر الحديثة فقد أشار إلى الاتفاقيات الدولية وبالخصوص إلى اتفاقيات جنيف ما جعل "لاليام" « la liame » يشير إلى إنشاء مصلحة الصحة التي يجب ألا تحمل السلاح وأن يكون سلاحها الوصفات التي تقدمها لعلاج الجرحى والمرضى كما أصر على الجزائريين بتقديم ترخيص على ميلاد الهلال الأحمر[59].

وبداية من 1956،قامت اللجنة الدولية للصليب الأحمر باستطلاعات نحو جبهة التحرير الوطني للتعرف على مصير الجنود الفرنسيين الذين كانوا أسرى لديها، وما إن نشأ الهلال الأحمر الجزائري حتى اتصل نائب مدير الشؤون القضائية للصليب الأحمر الجزائري بممثلي جبهة التحرير في الرباط مارس 1957 حينما جاء لتسليم أدوية لجبهة التحرير،وكان اللقاء يتمحور حول مصير الأسرى.

وقد كانت الحكومة المؤقتة تمنح كثيرا من الأهمية لعمل اللجنة الدولية للصليب،وقد أعطى الهلال الأحمر موافقته لمهمات التمريض،والمساعدات الاجتماعيةالتي أرسلتها فرنسا إلى الجزائر لمساعدة السكان المدنين في مخيمات التجميع (المحتشدات) وهكذا تمكن الصليب الأحمر الفرنسي من توزيع مساعداته دون أن يتعرض له مقاتلي جبهة التحرير بسوء من قريب أو بعيد كما سمحت لمندوبي اللجنة الدولية للصليب السيدان " de preux" أنهم سيبذلون كل ما في وسعهم من اجل التوصل إلى تسوية مسألة الأسرى الفرنسيين والجزائريين

وهكذا برهنت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في ظرف خمسة أشهر على اهتمامها بأن تعطي لهذه الحرب المتواصلة صبغة إنسانية،أين قرر جيش التحرير الوطني في القطر الوطني تحرير جنود ومدنيين في 15 و18 ماي 1959،اغلبهم في الولاية الثالثة التي حررت 9 جنود و4 جنود في 1960،وحررت الولاية الرابعة واحدا وسيجري تحرير 20 جنديا و26 مدنيا في المجموع من طرف جيش التحرير الوطني،كما أفرج عن تسعة جنود و5 مدنين،ثم 9 مدنين من بينهم امرأتان كلهم أوروبيون وجندي،كما أطلقت الولاية الثانية في جوان 1959 سراح أمرآتين أخريين أوربيين كذلك[60].إضافة إلى بعض الإفراجات التي تمت مباشرة من الجبال في الولايات الثانية، والثالثة، والرابعة والأكيد أن

هذه الإفراجات كانت قليلة في الواقع لقلة عدد الأسرى، إلا أن تأثيرها كان كبيرا في كسب تأييد الرأي العام الفرنسي والعالمي.

وكرد للجميل الذي قامت به الحكومة المؤقتة الجزائرية من إطلاق سراح الأسرى من جانب واحد في مرات متتالية زارت اللجنة الدولية للصليب الأحمر سجونا ومخيمات لكن في فرنسا وطالبت السلطات الفرنسية ببعض التحسينات كإعادة الماء للسجون، وتحسين المستوى المعيشي والحمية المعمول بها للسجناء ..وإقامة ورشات .....الخ .

وينبغي أن نشير إلى أنه بالرغم من المرونة التي أبدتها الحكومة المؤقتة في التعامل مع اللجنة الدولية للصليب إلا أن هذه الأخيرة لم تستطيع الضغط على الطرف الآخر لإيقاف سلسلة الإعدامات التي طالت الأسرى الجزائريين وفي نفس الفترة التي كانت الحكومة المؤقتة فيها تقوم بإطلاق سراح الأسرى.

3- إنشاء مصلحة الصحة لجيش التحرير الوطني:

كانت السلطات الفرنسية قد قررت منذ الشهور الأولى للكفاح تطبيق الحجز على الأدوية الخاصة بعلاج الالتهابات وعلى الأثير والكحول والحقن المضادة للكزاز وكان على الجزائري الراغب في الحصول على أحد هذه الأدوية أن يقدم إلى الصيدلي المعلومات المفصلة على حالته الشخصية أو عن هوية المريض الشخصية ...

"فالعلم المجرد من الصفة السياسية،العلم في خدمة الإنسانية"،غالبا ما يكون لا معنى له في المستعمرات[61]،كما يقول فرانز فانون.فغالبا ما كانت تضمد جروح المجاهدين الجزائريين بواسطة الماء الدافئ ولسوف تمارس عمليات البتر بدون بنج لعدم وجود مادة الأثير،ولأن الأدوية التي كانت تستعمل آليا قبل اندلاع الثورة قد تحولت إلى

أسلحة.فالعديد من الأسر الجزائرية شهدت وهي عاجزة يمتلئ قلبها الما "المجاهدين" الجرحى الذين لجأوا إلى منازلهم وهم يموتون بالكزاز موتا فظيعا[62].

لهذه الأسباب مجتمعة اضطرت جبهة التحرير الوطني لإنشاء مصلحة للصحة تابعة لجيش التحرير الوطني مهمتها الاعتناء ليس بجرحى جيش التحرير الوطني فحسب بل وأيضا بالأسرى الجرحى واللاجئين الجزائريين فمنذ 1955 عملت الثورة على إنشاء لجان للصحة في كل مكان توفرت فيه الإمكانيات لمساعدة المرضى ولاسيما لمعالجة الجرحى، وذلك عبر كامل التراب الوطني،ثم في المغرب وتونس بعد وصول اللاجئين بكثرة وكان كل قطاع ينظم حسب موارده ويكلف بتقديم العلاج الأول لجرحى الحرب أو السكان المدنيين[63].

ونتيجة لتضاعف الجهود بين التجار الجزائريين والأطباء والصيادلة فانه تدفق كميات لابأس بها من الأدوية عن طريق تونس والمغرب بين عامي 1956 و1957 سوف تنقذ عددا لا حصر له من الأرواح البشرية.

ومن جهة أخرى فان تطور وانتشار الثورة واتخاذ وحدات من جيش التحرير الوطني مواقع لها على ارض الوطن ضاعف من مسؤوليتها خاصة في الجانب الصحي لأن انتشار الثورة جعلت الخصم يأمر بتوقيف بعض فعالياته النظامية كمرور طبيب إلى الدواوير وتضطر مصلحة الصحة لجيش التحرير إلى اتخاذ تدابير رئيسية وذلك بإقامة نظام صحي قادر على أن ينوب عن الزيارة التي كان يقوم بها طبيب الاستعمار.وهكذا أصبح المسؤول عن

صحة الخلية المحلية عضوا هاما في الجهاز الثوري،هذا فضلا عن نتائج أعمال القصف والتطهير والذي كانت تمارسه فرنسا ضد المدنيين الجزائريين[64].

ونتيجة لهذه المعطيات الجديدة فانه بات من غير الممكن الاستغناء عن الأدوية وعن الخبراء ولذلك أصدرت جبهة التحرير نداءا إلى الطلاب والممرضين والأطباء بالانضمام إلى الثورة ونظمت اجتماعات بين مسؤولين سياسيين وبين مختصين في الصحة والتي انظم لها بعد ذلك مدنيون عن الأهالي مختصون في شؤون الصحة العامة لتصبح جميع المسائل تعالج بفكر ثوري ممتاز.فلم يكن هناك أي نظام سلطوي ولا أي استحياء وإنما على العكس كانت هناك جهود مشتركة وعزائم مصممة على تحقق مشروع صحي متقن هدفها السهر على صحة الشعب والمقاتلين[65]،فقد كانت الأقسام الصحية تستعمل وسائل متنوعة لمساعدة السكان وتخفيف آلامهم البدنية والروحية فقد أنقذ الجنود الأطباء العديد من المصابين بوسائل بسيطة وجرأة كبيرة،كبتر عضو دون تحذير وبمنشار بسيط،وذلك طبعا بموافقة الجرحى الذين كانوا مصحوبين بإيمان نادر وشجاعة خارقة[66]. وكانت مصلحة الصحة العسكرية المتمركزة في وجدة مكلفة باستقبال الجنود الجرحى وعلاجهم وإيوائهم إضافة لبعض الجنود الأسرى ورعاتهم الصحية كما ذكرنا سابقا.

ينقل فاروق بن عطية في كتابه الممارسات الإنسانية أثناء حرب التحرير شهادة للدكتور "مكاسي مصطفى" وهو طبيب رئيسي لجيش التحرير عن الدور الإنساني لمصلحة الصحة في المناطق الحدودية في المغرب أين كانوا يقيمون وسط سكان لا يتكلمون إلا باللغة الريفية والاسبانية وهو ما جعلهم يرون أنفسهم كغرباء وسط السكان والسكان ينظرون لهم كأجانب لولا أن الطبيب "سعيد عبد الدائم" تدخل لما شاهد تشابه بين

اللغة القبائلية واللغة الريفية وخاطب أحد أعيان القبائل وربط الصلة بينهم وبين السكان وأصبحت العلاقة بينهم علاقة أخوية وأصبحوا يزودون المعسكر بالمواد المحلية ويقول الدكتور مكاسي ".....مكافأة على حسن معاملة السكان لنا اقترحت على الملازم بوشاقور فتح مركز علاج مجاني مرتين في الأسبوع لصالحهم،و كانت النتيجة الفورية:شهرة جيش التحرير الوطني وسمعة الجزائريين الذين يسعون لتحسين ظروف المغاربة والجزائريين دون تمييز"، وعن إنسانية الثورة ومصلحة الصحة يضيف:"كانت مهمتنا تتمثل في علاج المحرومين ومساعدتهم،كانت المساعدة الاجتماعية توزع دون تمييز في المناطق الحدودية حيث يختلط اللاجئون الجزائريون والسكان المغاربة"[67].

ولا يفوتنا أن ننوه بالدور الذي لعبه البلدين الشقيقين تونس والمغرب والمساعدات الثمينة التي قدمها للمصالح الصحية للثورة فقد كان يشرف الدكتور "محمد الصغير نقاش"على الإعمال الصحية في القطر التونسي والدكتور عبد السلام هدام على مصلحة الصحة العسكرية في المغرب[68]، وهو ما أعطى دفعة قوية لاستمرار الثورة ورفع معنويات المجاهدين.

خلاصة:

من خلال هذا العرض الوجيز أن الشعب الجزائري لم يتأثر بأساليب الإرهاب وحرب الإبادة ولم يعتبر ثورته مبررا لاستعمال الوسائل والأساليب العنيفة أيا كانت، كونه في مركز المدافع عن نفسه لأنه لم يعتبر حربه التحريرية عصبية أو عنصرية انتقامية وهو ما عبر عنه أنور مالك بقوله أن الثورة الجزائرية " ليست حربا انتقامية لأنها لا تنتقم من جنود الاستعمار بوصفهم أفرادا، ولكنها تقتل فيهم أدوات الاستعمار "

كانت الثورة الجزائرية تضرب قوات الاحتلال بمنتهى العنف وفي الوقت نفسه كانت لاتسمح أن تهدر إنسانية جنوده ولا أن تعامل المستوطنين وبعض اليهود المتطرفين بنفس الأساليب الوحشية التي كانوا يعاملون بها الشعب الجزائري، بل ظلت تدعوهم إلى طي صفحة الماضي وفتح صفحة جديدة مبنية على الإخاء والاحترام المتبادل من أجل بناء جزائر الغد.فلم يعرف عن الثورة أنها قامت بتعذيب أي جندي فرنسي وقع في الأسر كما أنه لم يعرف عنها أنها قامت بعرقلة أي مهمة لمنظمات الإغاثة، لكن عرف عنها صيانة القيم الإنسانية وروح الإخاءتماشيا مع تعاليم الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية.

الهوامش والإحالات:

1 قليل، عمار، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، (د.ط)، الدار العثمانية للنشر، الجزائر، 2013، ص 22

2ديش،اسماعيل،السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954 – 1962،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،2009،ص ص17- 18

3حاميد، حسينة، المسنوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية 1954 -1962،ط1،منشورات الخبر،الجزائر 2007،ص 113

4قليل،عمار، ملحمة الجزائر،المرجع السابق، ص،229

5حاميد، حسينة، المرجع السابق، ص 113

6قليل،عمار، ملحمة الجزائر، المرجع السابق،ص 113

7المرجع نفسه.

8حاميد،حسيبة،المرجع السابق،ص-ص114-115

9 منغور، احمد، موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954-1962، ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ص 130

10Le travaiailleur algérien; 23/11/1954

11حاميد،حسينة،المرجع السابق،ص 131

12 جريدة المقاومة الجزائرية ،1956/10/01

13ماندوز،اندريه،الثورة الجزائر عبر النصوص، تر: ميشال،سطوف،منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار،الجزائر،2008،ص 31

14النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 54 نداء أول نوفمبر – مؤتمر الصومام، ميثاق طرابلس، تصدير:عبدالعزيز بوتفليقة ، وزارة الثقافة،الجزائر،ص 13

15ماندور،اندريه،المصدر السابق،ص 144

16 بيان الحكومة المؤقتة الجزائرية في 1958/09/26

17 جريدة المجاهد، ع22،2فيفري 1960،ص2.

18المصدر نفسه، ص2

19المصدر نفسه.

20 نصوص جبهة التحرير الوطني،المصدر السابق،ص 140

21 قانون، فرانز، العام الخامس للثورة الجزائرية، ط.خ، تر: ذوقان قرقوط، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر،2008، ص 164

22 البخاري،حمانة،المرجع السابق، ص 140

23 سعد الله، فوزي،يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر 1996، ص 6

24مناصرية، يوسف، النشاط الصهيوني في الجزائر 1789-1962، ط1،دار البصائر، الجزائر،2009، ص12

25اليخاري، حمانة، المرجع السابق،ص 141

26 نصوص جبهة التحرير، المصدر السابق،ص 13

27مناصرية، يوسف، النشاط الصهيوني في الجزائر، المرجع السابق، ص321

28 نصها الكامل في جريدة المجاهد ع3،ص31.

29 طلاس،مصطفى والعسلي،بسام،الثورة الجزائرية،ط.خ، وزارة المجاهدين، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010،ص335.ينظر أيضا:شرفي،عاشور،المرجع السابق،ص 473

30نفسه، ص 473

31المرجع السابق،ص 101

32 لعوج، نصر الدين، الأسس الإيديولوجية والأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية 1954-1962، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: مجاود محمد، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس،2012-2013، ص 444

33مناصرية،يوسف،الحركة الصهيونية في الجزائر،المرجع السابق،ص338

34Richard, Ayoun,etBernard,chen, Les Juifs d Alger, Editions Rahma, Alger,1994,p167

35Stora , benjamim , l'umpasibleneutralite des juifs d'algérie in la gurre d' algérie , sous tirection.volume chihab,alger 2004 pp 300-303

36 فانون،فرانزالعامالخامسللثورةالجزائرية،المصدرالسابق،ص 165

37Stora; Benjamin, Opcit, p303

38Ibid, p303

39مناصرية،يوسف،المرجع السابق،ص349

40Ayoun richard et cahen bernard les juifs d' algérie, Op cit.p 177

41 فانون،فرانز،العامالخامسللثورةالجزائرية،المصدرالسابق،ص-ص 169 - 170

42البخاري،حمانة،المرجع السابق،ص 142

43سعدالله،فوزي،يهودالجزائر،المرجعالسابق،ص06.

44شارل،انري فافرود،الثورة الجزائرية، تر: كابوية عبد الرحمان وسالم محمد،ط.خ،وزارة المجاهدين، منشورات دحلب، الجزائر، 2010،ص176.

45المرجع نفسه، ص453

46 جريدةالمجاهد، ع17،38 مارس1959،ص2

47شارل، انري فافرود، المرجع السابق، ص443

48خياطي، مصطفى، حقوق الإنسان في الجزائر خلال الاحتلال الفرنسي ط.خ، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار، الجزائر ،2013، ص455.

49 جريدة المجاهد، ع2، ص48

50 خياطي، مصطفى، المرجع السابق،ص 455

51المرجعنفسه،ص-ص 456-457

52 نفسه، ص 458

53 فقد كان المدنيون يعتبرون كالمحاربين ويعاملون نفس المعاملة في مختلف الحروب الأوروبية حتى القرن السادس عشر،وكانت أول محاولة لحماية غير المحاربين هي تلك التي قام بها الكاردينال"بلارمن" في عام 1619 حيث نادى آنذاك بوجوب حماية الأطفال والنساء والعجزة من أخطار الحروب لأن الاعتبارات الإنسانية تمنع قتل من لا يستطيع القتال.

54 شحاتة،مصطفىكامل،المرجعالسابق،ص56.

55 شهادة محمد بن صدوق في:المجلة اليومية الالكترونية نوافذ ثقافية،2015/11/04

56شهادةمحمدعبادةفي: جريدةالشعب،1987/01/26

57قليل،عمار،المرجع السابق،ص،ص377-379.

58شهادةمحمدبن صدوق في:المجلة اليومية الالكترونية نوافذ ثقافية،2015/11/04

59خياطي،مصطفى،المرجع السابق،ص 448

60المرجع نفسه، ص 100

61قانون،فرانز، العام الخامس للثورة،المصدر السابق، ص 151

62المصدر نفسه، ص-ص 150 - 151

63بن عطية، فاروق، الأعمال الإنسانية أثناء حرب التحرير 1954-1962 ، تر:كابوية عبد الرحمن ومحمد سالم، ط.خ وزارة المجاهدين، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2011، ص 59

64فانون، فرانز، العام الخامس للثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص 152

65المصدر نفسه، ص 153

66بن عطية، فاروق، المرجع السابق، ص 59

67المرجع نفسه.

68المرجع نفسه، ص 154